(١٥)

تبَالة وأهميتها التاريخية والحضارية

خلال القرون الإسلامية الأولى(*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

أولاً: المقدمة:

تَبَالة من المواقع القديمة في أرض السراة(١)، ومن المحطات التجارية الرئيسة على طريق البخور(٢)، ولها ذكر عند الأقدمين(٣)، واستمر ذكرها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة(٤)، ولا زالت تعرف بالاسم نفسه حتى اليوم(٥)، وفي هذه الدراسة سوف نركز على سبب تسميتها، وموقعها الجغرافي.. مع الإشارة إلى العشائر والبطون التي استوطنتها منذ العصر الجاهلي، واستمرت في استيطانها خلال العصور الإسلامية، ثم الإشارة إلى أوضاعها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى.

ثانياً: سبب التسمية:

إذا بحثنا في كتب اللغة عن مصدر كلمة (تَبَالة) وجدناها جاءت من مادة: تبل، والتبل:- هو العداوة أو الحقد وجمعه تبول(٦)، وقد يأتي (التبل) بمعنى السقم، ويطلق على الإنسان إذا غلب قلبه الحب وهيَّمه، إنه صاحب قلب متبول، وفي قصيدة لكعب بن زهير في مدح النبي محمد ﷺ قال فيها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبي اليَومَ مَتْبُولُ (٧).

ويقال: التُبل: اسم واد، وقال لبيد:

كُــلَّ يَـــوْمٍ مَـنَـعُـــوا جَـامِـلَـهُـــمْ

وَمُــــرِنَّـاتٍ كَـــــآرام تُـبَـــــــل[٨]

ويقال: تَبَالة موضع ، أو اسم بلد بعينه، منه المثل السائر «ما حللت تَبَالة لتحرم الأضياف»[٩] وهو بلد مخصب مريع ويقول: الجوهري: «تَبَالة بلد باليمن خصبة ، بفتح التاء وتخفيف الباء»[١٠].

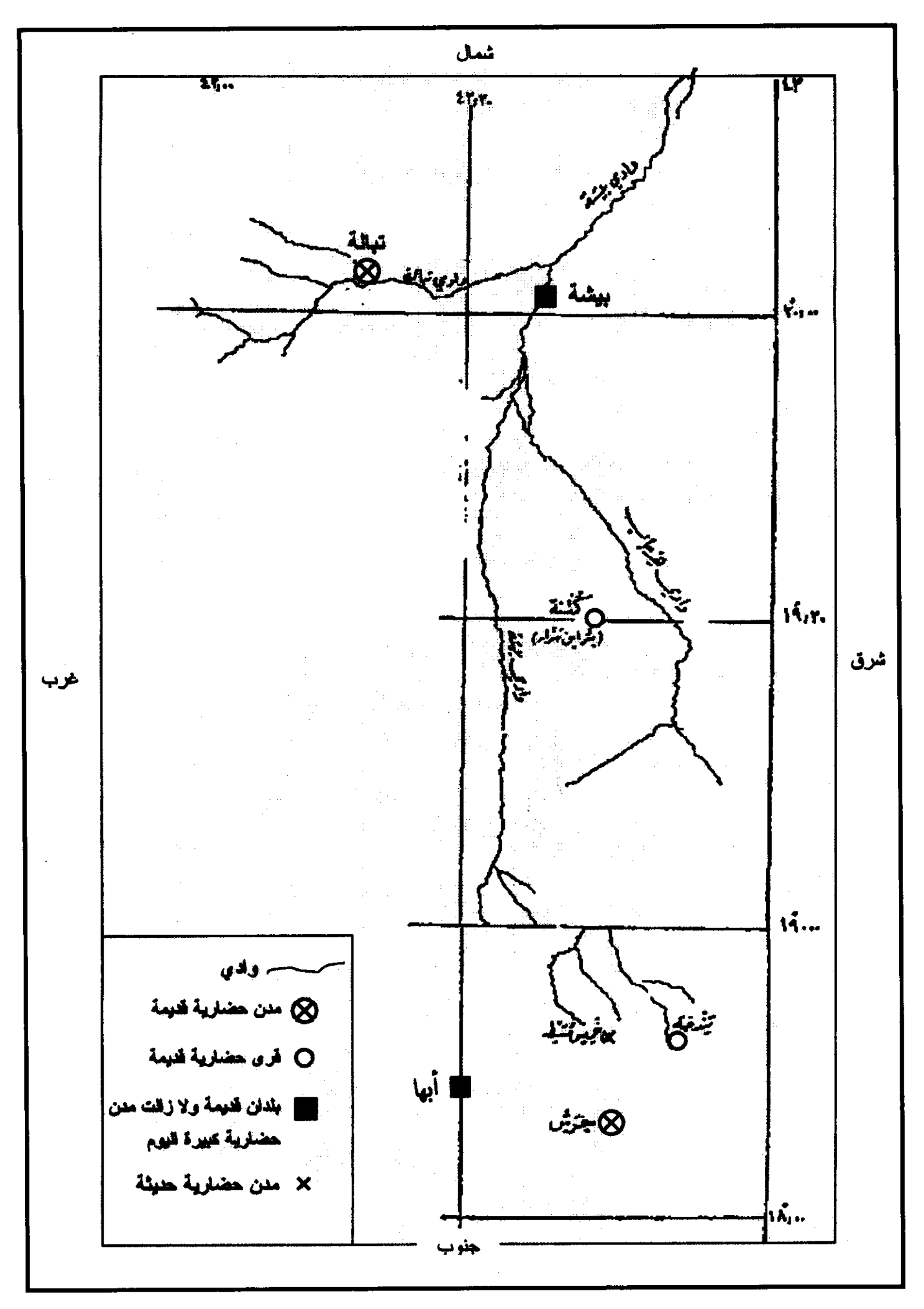
وورد في كتاب الأنساب «التبالي بفتح التاء والباء الموحدة، ثم الألف، وفي آخرها اللام ، وهذه النسبة إلى تَبَالة، وهو موضع بنواحي مكة»[١١]، وينسب إليها أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالي، الذي روى عن محمد بن عثمان الثقفي الطائفي، وسمع منه أبو حاتم الرازي[١٢]. ويذكر البكري وياقوت أن تَبَالة سميت بتبالة بنت مكنف من العماليق[١٣]، ويزعم ابن الكلبي أنها سميت بتبالة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام[١٤].

ثالثاً : الموقع والسكان:

أشارت الكثير من المصادر الإسلامية المبكرة إلى موقع تَبَالة ، فابن خلدون يتحدث عن السروات الممتدة من الحجاز حتى اليمن ، ويذكر أن العامة تسمي أهلها السرو، ثم يقول: «وأكثرهم أخلاط من بجيلة وخثعم، ومن بلادهم تَبَالة ويسكنها قوم عنز بن وائل، ولهم بها صولة» [١٥] وهذا المؤرخ أصاب في قوله إن تَبَالة من أرض السراة وساكنيها من خثعم ، أما عنز بن وائل فلم يستوطنوا تَبَالة وإنما كانوا إلى الجنوب من بلاد خثعم في بلاد جرش حول بلدة أبها من الناحية الشرقية[١٦]. ويشير عرام السلمي إلى بلدة الطائف ويقول «وأودية تنصب منها إلى تَبَالة[١٧]» ثم يذكر أن تَبَالة أكبر من الطائف وبينهما ليلتان وقد وقع هذا الجغرافي في عدة أخطاء ، فلا يوجد هناك أودية على الإطلاق تصب من الطائف في تَبَالة، وذلك لبعد

المسافة بين البلدتين، فالطائف على مقربة من مكة المكرمة، وتبالة في وسط بلاد السراة بأرض قبائل بلقرن وخثعم وشمران التي تبعد عن الطائف جنوباً بـ(٣٥٠) كيلاً تقريباً[١٨]، ثم إن أودية الطائف تصب تجاه مكة والساحل ، أو إلى الشرق تجاه بلاد نجد[١٩]. أما تَبَالة وواديها المعروف باسمها (وادي تَبَالة) فمنابعه من جبال السروات، وهو أحد فروع وادي بيشة[٢٠]. وتبالة ليست أكبر من الطائف ، كما ذكر عرام[٢١]، وإن كانت أحد المراكز الحضارية المهمة في بلاد السراة[٢٢]. فعرام يذكر أن بها (منبر)، أي أنها مركز إداري لما حولها من النواحي[٢٣]، وهناك من عدها مدينة من مدن الحضر مثل : مكة والطائف وخيبر[٢٤]، ووصفها آخرون بأنها قرية، وقيل قرية عظيمة[٢٥]، وأوردها ابن خرداذبه ضمن مخاليف مكة[٢٦]. ويذكر ياقوت أنها من المواطن التي كان يرسل إليها خلفاء المسلمين من يتولى أمرها، ويسوس أهلها ، وذكر أنها تبعد عن مكة تجاه الجنوب (٥٢) فرسخاً، أو حوالي مسيرة ثمانية أيام، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين بيشة يوم واحد[٢٧]. وهذا الوصف يكاد يكون صحيحاً إلى حد ما؛ لأن المسافر قديماً من بلاد خثعم وشمران إلى مكة يستغرق تقريباً في سفره من مكة إلى بلاد خثعم وشمران من ثمانية إلى عشرة أيام[٢٨]، ومن بيشة إلى تَبَالة حوالي يوم واحد، أي ما يقارب (٤٥-٥٠) كيلاً، وهي المسافة الفعلية التي يقطعها المسافر اليوم بالسيارة بين بلدتي تَبَالة وبيشة [٢٩].

أما سكان تَبَالة فيذكر الهمداني أن أكثر ساكنيها من قريش[٣٠] وهذا قول غير دقيق، وربما سكنها بعض القرشيين ، لكن ليسوا أكثر سكانها، وإنما أغلب سكانها من بطون خثعم[٣١]، وهذا ما أكد عليه الهمداني في مكان آخر من مؤلفه قائلاً " بلد خثعم أعراض نجد وبيشة وترج وتبالة " [٣٢]، وذكر



خارطة توضح بلدة تبالة وواديها ضمن أودية وبلدان أخرى في أجزاء من منطقة عسير السروية

البكري أيضاً أن "دار خثعم... بيشة وتبالة على محجة اليمن، وهم مخالطون لهلال بن عامر وبطن تَبَالة لبني مازن"[٣٣]. ويستدل على سكنى بني مازن لبلاد تَبَالة قول الشاعر عمرو بن معد كرب الزبيدي، الذي أنشد قائلاً :

أَأَغْزُو رِجَالَ بَنِي مَازِنٍ   بِبَطْنِ تَبَالة أَمْ أَرْقُدُ[٣٤]

وأشار اليعقوبي إلى التركيبة السكانية في تَبَالة فقال: "وتبالة لخثعم"[٣٥]، وفي رواية أخرى "وتبالة وأهلها خثعم"[٣٦] وعرام السلمي يذكر عدداً من العشائر التي تستوطن تَبَالة فيقول: "وتبالة منبر وأهلها سلول، وعقيل، وغامد، وعامر بن ربيعة، وقيس كبه"[٣٧]، وهذه القبائل التي أشار إليها عرام ربما سكنت تَبَالة بمفهومها الواسع، والمقصود بذلك وادي تَبَالة الذي يمتد من سروات بلقرن وخثعم وشمران إلى بيشة، أي بمساحة تقدر بـ(٥٠) كيلاً في الطول ، وعدة أكيال في العرض[٣٨]، والمتجول في وادي تَبَالة وما جاوره اليوم يجد أن الكثير من بطون هذه العشائر التي ذكرها عرام لا زالت تعيش في هذه الديار[٣٩]. وكون تَبَالة كانت من المراكز الحضارية الكبيرة في بلاد السراة ، فلا يستبعد أنه نزح إليها قبيل وأثناء ظهور الإسلام بعض البطون العشائرية؛ كي تكون على مقربة من هذا المركز الإداري والديني الذي كان يحتضن صنم ذي الخلصة المشهور والمعروف بـ(الكعبة اليمانية). كما سيأتي ذكره لاحقاً[٤٠].

رابعاً: تَبَالة وأهميتها التاريخية :

تَبَالة من المخاليف المهمة في بلاد السراة، وقد أجمعت جُلُّ كتب التراث على خصوبة أرضها، وتميزها بموقع تجاري على الطريق الجبلي الذي يربط اليمن بالحجاز[٤١]. ومما زادها أهمية احتضانها لصنم ذي الخلصة[٤٢]. الذي تعرضت لذكره كثير من كتب الحديث والتاريخ[٤٣]، وهناك من قال: إنه

يوجد في بلدة تَبَالة[٤٤]، وآخرون ذكروا موقعه في بلاد دوس[٤٥]. وقد نشر الأستاذ رشدي ملحس دراسة مطولة عن هذا الصنم، وأيد الأقوال التي تذكر وجوده في أرض دوس من بلاد غامد وزهران[٤٦]. لكن الأستاذ حمد الجاسر زار بلاد غامد وزهران في أواخر القرن الهجري الماضي[٤٧]، ووقف على الموقع الذي أشار إليه رشدي ملحس وذكر بأنه مكان لصنم ذي الخلصة، المعروف اليوم باسم (ثروق)[٤٨]، ثم استعرض جميع الروايات القديمة التي أشارت إلى هذا الصنم، وخرج بنتائج قيمة أكد فيها أن هناك أصناماً كثيرة ربما سميت بـ (ذي الخلصة)[٤٩] لكن الصنم المشهور والمعروف بـ (الكعبة اليمانية) لا يوجد إلاّ في وادي تَبَالة الواقع في بلاد خثعم وبلقرن وشمران[٥٠].

ويشير النووي إلى أن ذا الخلصة «كان صنماً تعبده دوس في الجاهلية»[٥١]، ويورد ابن كثير أن البخاري ذكر بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم للبيت الذي كانت تعبده ويسمونه بـ (الكعبة اليمانية)[٥٢]. ومن المؤكد أن ذا الخلصة، وخاصة الموجود في تَبَالة، لم يكن خاصاً لعشيرة دون أخرى، إنما كان يزوره ويحج إليه عدد من القبائل ما بين نجران وزهران، ويؤكد ذلك ما أشار إليه ياقوت نقلاً عن ابن المنذر بأن ذا الخلصة من أصنام العرب، وهي في أرض تَبَالة على هيئة مروة بيضاء منفوشة، وسدنتها هم بنو أمامة من باهلة بن أعصر، ثم يقول: «وكانت تعظمها وتهتدي لها خثعم، وبجيلة وأزد السراة، ومن قاربهم من بطون العرب، ومن هوازن»، ففيها يقول خداش بن زهير العامري العثعث بن وحشي الخثعمي في عهد كان بينهم فغدر بهم:

وذَكّرتهْ بالله بيني وبينه ... وما بيننا من مُدّة لو تذكرّا

وبالمروة البيضاء ثم تَبَالة ... ومجلسة النعمان حيث تنصرا[٥٣]

ويذكر ابن حبيب بأن ذا الخلصة كان بيتاً تعبده " بجيلة ، وخثعم، والحارث بن كعب، وجرم، وزبيد، والغوث بن مر بن أد، وبنو هلال بن عامر، وكانوا سدنته بين مكة واليمن بالعبلاء"(٥٤).

ويضيف ياقوت نقلاً عن المبرد، الذي عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أن هذا الصنم كان في مكان جامع البلدة المعروفة بـ (العبلات) من أرض خثعم(٥٥). ويؤكد البكري ذلك فيقول" ذو الخلصة بيت بالعبلاء كانت خثعم تحجه،وهو اليوم موضع مسجد العبلاء"(٥٦).

ويستخلص من هذه النصوص بعض النتائج التي نلخصها في النقاط التالية:

١ - أن صنم ذي الخلصة في تَبَالة كانت يحج إليه الكثير من القبائل القاطنة في بلاد السراة، وبالتالي فهي تقدسه وتهدى إليه ، وقبيلة خثعم وخاصة عشيرة بني أمامة من بني باهلة الخثعمية هي التي تتولى سدانته والإشراف عليه.

٢ - الإشارة إلى أن هذا الصنم في تَبَالة لا تتناقض مع روايات أخرى تقول: إنه في العبلاء أو العبلات، فالأقوال جميعها سليمة؛ لأن تَبَالة وهي واد فيه قرية قديمة كانت تعرف بهذا الاسم، وفي أعلاها أرض يطلق عليها اسم العبلاء، وأحياناً تنطق العبلات، وفيها أيضاً واد لا يزال يعرف بهذا الاسم ، وبالتالي فالعبلاء وتبالة من بلاد خثعم، ولا يزال الموضعان معروفين ويقعان في سفوح السراة الشرقي.

٣ - زرت بلاد خثعم وبلقرن في شهري المحرم وصفر من عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، وتجولت في أرجائها وذهبت إلى قرى وادي تَبَالة، وشاهدت بعض الأماكن القريبة من قرية تَبَالة الحديثة، ورأيت بعض الأبنية

القديمة التي عمرها ربما لا يتجاوز قرنين من الزمان، وشاهدت أيضاً بعض الرسومات والنقوش الصخرية المحدودة، ولم أستطع التوصل إلى المكان الدقيق لهذا الصنم الذي أسهبت المصادر المبكرة في الحديث عنه مع أن أهالي المنطقة لا يزالون يطلقون على بعض الغرف المندثرة هناك اسم (آثار صنم ذي الخلصة)، مع أننا غير واثقين من هذا القول، ويحتاج الأمر إلى إجراء بعض التنقيبات والدراسات الأثرية العلمية التي ربما تكشف لنا بعض الحقائق العلمية عن المكان الصحيح لهذا الصنم(٥٧).

وعند ظهور الإسلام ، وخاصة في مرحلة الدعوة المكية، لا نجد ذكراً لتبالة، مع أننا نجد روايات أخرى تشير إلى أن قدوم الطفيل بن عمرو الدوسي من بلاد غامد ودوس على الرسول (ﷺ) في مكة ودخوله الإسلام في السنة السابعة للنبوة، ثم رجوعه إلى بلاده المجاورة لأرض تَبَالة وسكانها الخثعميين من الشمال، واستمراره في دعوة قومه حتى السنة السابعة للهجرة ، ثم رجوعه إلى الرسول (ﷺ) في المدينة ومعه حوالي ثمانين بيتاً من قومه مسلمين(٥٨). وتنوه بعض المصادر إلى الجهود التي بذلها الطفيل في محاربة المشركين في وطنه، وخاصة في تحطيم الأصنام التي كانوا يعبدونها في أرض غامد ودوس(٥٩)، ومنها صنما ذو الكفين، وذو الشرى(٦٠)، ولا نجد أية إشارة إلى جهود الطفيل أو غيره في تحطيم صنم ذي الخلصة في تَبَالة بأرض خثعم ، بل لم تذكر أية معلومة عنه أو عن وجوده في أرض دوس(٦١). وفي اعتقادنا أنه لو كان في بلاد غامد وزهران صنم بهذا الاسم لذكرته المصادر في أثناء جهاد الطفيل للمشركين هناك.

وفي عنوان جانبي للبلاذري سماه : تَبَالة وجرش(٦٢)، أورد نصاً يؤكد على إسلام سكان هاتين الناحيتين بدون قتال، فقال: "أسلم أهل تَبَالة

وجرش من غير قتال، فأمرهم رسول الله (ﷺ) على ما أسلموا عليه، وجعل على كل محتلم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين، وولى أبا سفيان بن حرب جرش"[٦٣].

ونستنتج من هذا النص أمورًا عدة هي:

١ - ارتباط بلاد تَبَالة وجرش وتقاربهما، فجرش القريبة من بلدة أبها، والواقعة اليوم في محيط بلدة خميس مشيط ، لا تبعد عن وادي تَبَالة في بلاد خثعم وبلقرن وشمران إلاّ حوالي (٢٠٠) كيل، وهذه البلاد جميعها تتبع اليوم إمارة منطقة عسير.

٢ - أن سكان هاتين الناحيتين لم يكونوا جميعاً وثنيين ،إنما كان بينهم أهل كتاب من اليهود والنصارى ، ولم تخل عموم بلاد السراة من نجران حتى الطائف من وجود أهل كتاب ، لكنهم كانوا قلة مقارنة بالوثنيين[٦٤].

٣ - أن القول بأن أهل تَبَالة وجرش أسلموا بدون قتال قول غير دقيق ، وقد أصدرنا الكثير من الدراسات عن جرش ، ونجران ، ونواحٍ عدة في بلاد السراة[٦٥]، ووجدنا نصوصاً في مصادر التراث الإسلامي تذكر دخول بعض سكان هذه النواحي في الإسلام بدون قتال، لكن هناك فئات كثيرة قاومت الدعوة الإسلامية، ولم يدخلوا في دين الإسلام إلاّ بعد الكثير من الحروب والصراعات الدامية[٦٦].

٤ - الإشارة إلى تولية أبي سفيان بن حرب على جرش، يفهم منها أن الولاية كانت في مراحل متأخرة من عصر الرسول (ﷺ)؛ لأننا نجد أهل جرش يحاربون الإسلام في أول الأمر، وبعد حروب كثيرة قادها صرد بن عبدالله الأزدي وانتهى الأمر إلى توطيد الإسلام في بلادهم

وما حولها[٦٧]، وبعدها بدأ الرسول (ﷺ) يرسل بعض صحابته إلى تلك النواحي لتفقيه أهلها في دينهم، وإدارة بلادهم على منهج الكتاب والسنة[٦٨]. وإذا كان اسم أبي سفيان قد ورد والياً على جرش، فإننا لا نجد ذكراً لمن تولى تَبَالة، وربما كان أبو سفيان والياً على جرش وتبالة معاً وذلك لتقاربهما جغرافياً ، ثم إن طريق أبي سفيان في ذهابه إلى جرش يمر عبر بلاد تَبَالة[٦٩].

وهناك روايات تؤكد تصدي أهل تَبَالة، وخاصة الخثعميين لدعوة الإسلام، فالواقدى، وابن سعد يؤكدان على إرسال الرسول (ﷺ) قطبة بن عامر بن حديدة[٧٠] إلى خثعم في أرض تَبَالة في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة وذلك من أجل معاقبة الثوار المشركين هناك[٧١] ويقول ابن سعد "بعث رسول الله (ﷺ) قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تَبَالة، وأمر أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم . فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر، فشنوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتل قطبة بن عامر من قتل، وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة"[٧٢].

وعلى الرغم من انتشار الإسلام بين أهل تَبَالة، فإن صنم ذي الخلصة ظل قائماً حتى السنة العاشرة للهجرة تحميه بعض بطون خثعم ومن جاورهم من العشائر ، وهذا ما أكدت عليه الكثير من المصادر، فابن الجوزي يذكر أن جرير بن عبدالله البجلي[٧٣]، قدم على الرسول (ﷺ) ومعه بعض قومه بعد فتح مكة ، فأسلموا، ثم عين الرسول (ﷺ) جريراً على رفاقه وطلب منهم هدم صنم ذي الخلصة في تَبَالة بأرض خثعم، فلبى

جرير أمر رسول (ﷺ)[٧٤]. ويشير ابن سعد في رواية أخرى أكثر تفصيلاً إلى أن جريراً قدم على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة للهجرة ومعه مئة وخمسون رجلاً من بجيلة ، فرحب به الرسول (ﷺ) وبقومه ، وشهدوا بشهادة الإسلام ، ثم سألهم الرسول (ﷺ) عن أحوال ما ورائهم في بلاد السراة ، فقال جرير " يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الآذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد"[٧٥] فقال الرسول (ﷺ) "فما فعل ذو الخلصة ؟ " قال جرير "هو على حاله، قد بقي والله مريح منه إن شاء الله" فأمر الرسول (ﷺ) جريراً أن يأخذ مئتين من قومه ويذهب بهم لهدمه وتفريق من حوله، فذهب جرير لما أمره به النبي (ﷺ)، وهدم الصنم المشهور ورجع مع رجاله إلى الرسول (ﷺ) فسأله النبي (ﷺ) عما حقق ، فقال "يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته، وأخذت ما عليه، وأحرقته بالنار، وتركته كما يسوء من هوى هواه، وما صدنا عنه أحد"[٧٦]، ففرح الرسول (ﷺ) ودعا لجرير وقومه[٧٧].

ويتضح من هذه النصوص أن الإسلام قد ضرب بجذوره في بلاد السراة ، ونشر ظلاله الوارفة عليها ، وكان صنم ذي الخلصة في بلاد تَبَالة آخر معاقل الشرك التي سقطت هناك، بل إن بعض عشائر خثعم التي كانت تدافع عنه سرعان ما دخلت تحت لواء الإسلام.

وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣هـ/ ٦٣١ - ٦٣٤م) ظهر بعض المرتدين في بلاد السراة ، وسعى بعضهم إلى إعادة بناء صنم ذي الخلصة[٧٨]، فلم يكن على الخليفة إلاّ أن يكلف جرير بن عبدالله البجلي أن يستنفر قومه البجليين[٧٩]، ومن ثبت على الإسلام في أرض السراة ، ويتعقب بهم هؤلاء المرتدين وخاصة الذين خرجوا غضباً لذي

الخلصة ، فخرج جرير وفعل ما أمره به الخليفة ، ولم يقف له أحد في أرض تَبَالة حول ذي الخلصة ، إلاّ نفر قليل تتبعهم وقتلهم[٨٠].

ولم يظهر لذي الخلصة أي ذكر خلال القرون الإسلامية الأولى، وصارت بلاد تَبَالة ناحية من نواحي الدولة الإسلامية في بلاد السراة[٨١]، وأصبح الخلفاء الراشدون يرسلون من يتولى بلاد مكة والطائف وما والاها جنوباً حتى تَبَالة وجرش ونجران وصنعاء[٨٢]، ولا نجد في المصادر ذكراً لمن تولى أرض تَبَالة، كما لا نعرف هل كانت ناحية مستقلة بذاتها، أو تبعاً لناحية أخرى؟ مع أن بعض المصادر المبكرة أشارت إلى المخاليف التابعة لمكة، وذكرت تَبَالة واحدة منها[٨٣].

وفي عهد الدولة الأموية (٤٠-١٣٢هـ/٦٦٠-٧٤٩م) نجد الخليفة عبدالملك ابن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) يصدر قراره بتولية الحجاج بن يوسف الثقفي على تَبَالة[٨٤]، يقول ياقوت "كانت تَبَالة أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفي فسار إليها، فلما قرب منها قال للدليل، أين تَبَالة، وعلى أي سمت هي؟ فقال: ما يسترها عنك إلاّ هذه الأكمة، فقال: لا أراني أميراً على موضع تستره عني هذه الأكمة ، أهون بها ولاية! وكر راجعاً ولم يدخلها" فصار ذلك مثلاً يضرب "أهون من تَبَالة على الحجاج"[٨٥] ويتضح من هذا التعيين أن تَبَالة كانت من المواقع المهمة في أرض السراة، بل كانت تعد مركزاً إدارياً، ومقراً للوالي الذي يشرف على تلك النواحي. ونجد بعض الإشارات التي تؤكد وجود بعض المؤسسات الإدارية في هذه الناحية فالأصفهاني يشير إلى مقتل الشاعر ابن الدمينة[٨٦] في نواحي تَبَالة، ثم يذكر ما قام به والي تَبَالة من جهود في تعقب القاتل وإيداعه في سجن البلدة[٨٧]. والرواية تؤكد على وجود والٍ قوي يتمتع بالنفوذ الجيد الذي

يمكنه من ضبط الأمن، ومحاربة من ينشر الفوضى في البلاد. مع أننا لا نعرف اسم هذا الوالي، ولا الوسائل والإمكانات التي كان يتمتع بها في ضبط عمله. ويبدو أن العشائر المستوطنة في تَبَالة وما حولها كانت كثيرة القلاقل والفتن، ولهذا كان أمراء الحجاز هم المسؤولين عن تعيين ولاة السراة(٨٨)، وكانوا حريصين على تولية تلك النواحي ولاة أقوياء، ويظهر ذلك جلياً في نص أورده ابن قتيبة عندما ذكر أن أعرابياً ولي تَبَالة " فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير - يقصد أمير الحجاز - أعزنا الله وإياه ولاني بلادكم هذه، وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي ، ولن أوتي بظالم ولا مظلوم إلاّ أوجعتهما ضرباً، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه"(٨٩). وهذه السياسة القوية تقمع كل من تسول له نفسه إثارة الفوضى في البلاد(٩٠).

وفي عام (٦١هـ/٦٨٠م) قام نجدة(٩١) بن عامر الحنفي الخارجي بثورة ضد بني أمية، وحاول الانضمام إلى عبدالله بن الزبير الذي ثار هو الآخر على الأمويين في الحجاز(٩٢)، لكنه انصرف عنه، ووسع نفوذه حتى سيطر على نجد والبحرين ، وفي عام (٦٨هـ/٦٨٧م) سار نجدة إلى الطائف للاستيلاء عليها فقابله زعيمها عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه على قومه، فلم يدخلها ومد نفوذه على بلاد السراة وسيطر على تَبَالة وبيشة وجرش واستعمل عليها أحد رجاله المعروف باسم (الحاروق) أو (حراق)(٩٣). وهذه الثورة لا توضح لنا ما نتج عنها من خراب ودمار على أهالي السراة عامة أو تَبَالة خاصة، لكن يتضح أنها لم تتغلغل في هذه النواحي ، ربما لقصر مدتها،حيث لم تتجاوز سيطرته على اليمامة أو أجزاء من بلاد الحجاز أو السراة ثلاث سنوات(٩٤)، ثم إن الأمويين كانوا آنذاك

في أوج قوتهم، فأرسلوا جيوشهم من الشام إلى الحجاز ونجد و السراة واليمن فتصدت لهؤلاء وقضت عليهم(٩٥).

وفي نهاية عصر بني أمية، عام (١٢٩هـ /٧٤٥م) نجد أبا حمزة الخارجي، والمعروف بـ (المختار بن عوف السَّليمي الدوسي) يثور مع عبدالله بن يحيى الكندي، الملقب بـ (طالب الحق) في حضرموت(٩٦)، ويعملان على توسيع نفوذهما إلى أرض السراة، الطائف ومكة والمدينة، وقد اتخذا من جرش وتبالة والطائف قواعد رئيسة لتُوسيع سلطانهما، وعندما سمع الخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م) بهؤلاء الثوار جهز جيشاً بقيادة عبدالملك بن عطية السعدي، وسار إلى الحجاز لملاقاة أبي حمزة الخارجي في مكة، فهزمه وقتله وفرق رجاله، ثم خرج ابن عطية إلى الطائف متجهاً نحو اليمن معقل عبدالله بن يحيى الكندي، وكان الأخير قد تمركز مع حوالي (٣٠٠٠) من رجاله في بلدة كتنة بأرض جرش(٩٧) ونزل ابن عطية في تَبَالة، ودارت معارك كثيرة بين الطرفين، خسر الكندي في نهايتها وتقهقر من تَبَالة حتى جرش التي وقعت فيها المعركة الفاصلة، وقتل عبدالله بن يحيى الكندي، وقتل أكثر جنده، وانتهى أمر هؤلاء الثوار الخوارج(٩٨).

ويبدو أن تَبَالة كانت من المواطن المهمة التي استوطنها هؤلاء الثوار، أو جيوش بني أمية، وذلك لتوسطها في الطريق ما بين اليمن والحجاز، ثم لموقعها الإستراتيجي على الطريق الواصل بين صنعاء ومكة، ولا يستبعد أن أهلها قد أدوا دوراً في اتخاذها قاعدة لتقديم بعض الخدمات الضرورية لقادة ورجال الجيش الأموي الذين استطاعوا في نهاية المطاف كسب الحروب لصالحهم، والقضاء على هؤلاء الثوار الذين سعوا في الأرض فساداً.

ومنذ بداية عصر بني العباس (١٣٢هـ / ٧٤٩م) لا نجد ذكراً لتبالة، خاصة في الناحيتين السياسية والإدارية.. مع أن خلفاء بني العباس كانوا يرسلون أمراءهم إلى اليمن والحجاز، وأحياناً يجمعون بلاد الجزيرة العربية لوالٍ واحد، يكون مقره في الحجاز[٩٩]. وإذا بحثنا عن البلاد النائية أو الصغيرة مثل تَبَالة ، فلا نعرف عن أهلها الشيء الكثير إدارياً، وربما كان خلفاء بني العباس ممثلين في ولاتهم بالحجاز يرسلون من يراقب أسواقهم ويجبي زكواتهم[١٠٠]. والمؤكد أن إدارة شؤون تَبَالة الداخلية، وعموم بلاد السراة في أيدي شيوخها وأعيانها المحليين، وهذا ما ذكره بوضوح الهمداني، وناصر خسرو، وابن المجاور، وابن خلدون[١٠١] وأفضلهم تفصيلاً في هذا الجانب ابن المجاور الذي يقول: "وجميع هذه الأعمال - أي بلاد السراة من الطائف حتى صنعاء - قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر، وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب، وبطن من بطون البدو في قرية، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم"[١٠٢]. ويقول عن هذه البلاد "إنها قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان، بل مشائخ منهم، وفيهم بطون متفرقون"[١٠٣] ويقول أيضاً" ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم"[١٠٤].

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يرد ذكر بلاد تَبَالة وخاصة عند أئمة اليمن الزيدية[١٠٥]، فلقد ولد فيها الإمام القاسم بن علي العياني عام (٣١٠هـ/٩٢٢م) وعاش فيها عقوداً من الزمن[١٠٦]، وكان يفد عليه بعض اليمنيين الزيود في أثناء ذهابهم وإيابهم ما بين مكة واليمن، وفي عام (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، أقنعه بعض أعيان اليمن على ترك تَبَالة، مسقط رأسه،

والذهاب معهم إلى صعدة وصنعاء لتولي حكم البلاد، وتم له ذلك لمدة خمس سنوات (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م)[١٠٧]، ثم جاء من بعده أولاده وأحفاده الذين تولوا أمر اليمن عقوداً عديدة[١٠٨]، لكنهم كانوا على صلات جيدة بمسقط رأس والدهم في تَبَالة، فهم يزورون أهلها الخثعميين، بل ملكوا فيها بعض العقار والزروع، وتزوجوا من نسائها، كما هرب حفيدا الإمام العياني، القاسم ومحمد ابنا جعفر بن الإمام العياني، من حكام الدولة الصليحية[١٠٩]، واستقرا في ترج وتبالة من أرض خثعم من عام (٤٥١-٤٥٩هـ/١٠٥٩-١٠٦٦م)[١١٠]، وربما كان اختيارهما لهذا المكان بسبب الصلات القديمة التي كانت لجدهم في تلك الناحية، كما فضلاها على غيرها لانزوائها وبعدها عن حكام الدولة الصليحية في اليمن ، فهي تقع في وسط بلاد السراة، وسيتكبد أعداؤهم الخسائر الفادحة إذا حاولوا مهاجمتهم في تلك الأوطان[١١١] ولم يثبت أن أهل السراة اعتنقوا مذهب الإمام العياني (المذهب الزيدي)، وإنما كانوا على المذهب الشافعي[١١٢]، وهذا الذي لم يساعد العياني وأولاده للتأثير في سكان هذه البلاد، حتى وإن استقروا بها بعض الوقت أو صاهروا أهلها وملكوا بها بعض الدور والعقارات[١١٣].

وكان الأشراف في مكة والطائف هم الآخرون يسعون إلى امتلاك بعض الملكيات العقارية في السراة، ونجد لهم ذكراً في تربة وبيشة وجرش وربما تَبَالة ، ونلاحظ ذكر المصادر المكية المحلية للكثير من الأمثلة لبعض أمراء الأشراف الذين كانوا على صلات سياسية وحضارية بهذه البلاد[١١٤].

خامساً: تَبَالة وأهميتها الحضارية:

لتبالة أهمية حضارية وخاصة في النشاط التجاري والزراعي، فالهمداني يصفها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي قائلاً: "تَبَالة قرية فيها

التجار... وكان فيها نخيل وغيل"[115]، ويذكرها عدد من الرحالة المسلمين الأوائل على أنها محطة تجارية نشطة على الطريق الواصل بين اليمن والحجاز[116]. ويشير قدامة إلى كثرة سكانها وخصوبة أرضها فيقول: "تَبَالة قرية عظيمة، كثيرة الأهل، وفيها منبر وعيون وآبار" [117]، ويضيف ابن خرداذبة إلى أنها من مخاليف مكة، وهي "مدينة كبيرة فيها عيون"[118]. ويورد الإدريسي من أهل القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي معلومات أكثر، ويتحدث عن تقسيمات الأرض جغرافياً، ويعد تَبَالة في الإقليم الثاني، ثم يقول قواعد البلاد المعلومة في هذا الإقليم "جرش، وبيشة، وتبالة، وعكاظ، ونجران"[119] وفعلاً فهذه المدن تعد المراكز المهمة والرئيسة في البلاد السروية الممتدة من صنعاء وصعدة في اليمن إلى الطائف ومكة في الحجاز[120]. ويستكمل الإدريسي وصفه لتبالة، فيقول: "تَبَالة من مخاليف مكة، وبينهما أربع مراحل ، ومدينة تَبَالة صغيرة بها عيون متدفقة، ومزارع ونخل... ومن تَبَالة إلى بيشة خمسون ميلاً، وكذلك من بيشة إلى جرش أربع مراحل، ومن تَبَالة إلى سوق عكاظ ثلاث مراحل"[121]. واذا كانت تَبَالة محطة مهمة على طريق صنعاء ومكة، فهي أيضاً ملتقى لمحجة حضرموت التي تأتي من النواحي الشرقية لبلاد عسير ، ثم تلتقي مع محجة صنعاء في تَبَالة ، وهكذا تواصل سيرها إلى الطائف ومكة [122].

ويتفق الحميري مع الإدريسي ومن سبقه من الجغرافيين الأوائل على أن تَبَالة على طريق صنعاء ومكة، وينوه أيضاً إلى وفرة المياه والزروع بأرضها فيقول: "هي قرية صغيرة بها عيون ومزارع ونخيل، وفيها مسجد جامع ومنبر، ومياهها من العيون والآبار"[123] ويصفها القلقشندي "بأنها مدينة كبيرة وفيها عيون جارية"[124].

وإذا اختلف بعض المؤرخين والجغرافيين الأوائل على أنها قرية أو مدينة، فربما يعود ذلك إلى تقديرات كل واحد منهم، فإذا قورنت مع باقي النواحي والمراكز في بلاد تهامة والسراة أو المناطق النائية في العالم الإسلامي فينظر إليها على أنها مدينة. وعندما تقارن مع المدن الإسلامية الكبرى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها فهي قرية تتوافر فيها مقومات الحياة الحضارية، ومن أهم تلك المقومات ما يلي:

(١) أنها محطة تجارية مهمة تلتقي فيها محجتا حضر موت وصنعاء ومنها يتم الاتصال بالحجاز.

(٢) توسط موقعها بين جرش وبيشة والطائف، وبالتالي فموقعها إستراتيجي، وهي من حلقات الوصل الرئيسة بين نجران والطائف. والمشاهد لبلاد تَبَالة وما جاورها اليوم يجدها تربط بين مراكز إدارية مهمة، فمحافظة بيشه تأتي من شرقها، وبلاد الحجر التي مقرها مدينة النماص من الجنوب، وبلاد غامد وزهران في الباحة من الشمال[١٢٥].

(٣) توفر المياه والمزروعات المتنوعة في تَبَالة، بالإضافة إلى وجود الغابات والأشجار والنباتات البرية، وهذا مما زادها جمالاً ورغبت الكثير من العشائر في استيطانها.

وأشارت كتب التراث وخاصة الأدبية منها إلى رخاء أرض تَبَالة لما يوجد بها من المزروعات والحيوانات الأليفة والبرية، وكذلك اشتهار أهلها بإكرام الضيف، وغير ذلك من الصفات الجميلة التي رفعت من ذكر هذه الناحية. وأكبر دليل على ذلك ما قاله بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين من أشعار في تَبَالة:

فهذا امرؤ القيس يذكر اشتهارها بالظباء والغزلان حتى صارت مضرب المثل، فيقول:

هما ظبيتان من ظباء تَبَالة على جؤذرين أو كبعض دمي هكر(١٢٦)

ويذكر أن الأسود تعيش في أرض تَبَالة، وينفي الهمداني هذا القول، فيقول: "أما أسد تَبَالة وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ولا يكون بها أسد"(١٢٧). وهذا قول غير صحيح، لأن من يتجول في وادي تَبَالة وما جاوره يرى به من الأشجار والجبال والغابات ما يجعل الوحوش مثل الأسود تعيش في أكنافه(١٢٨)، ومما يؤكد أن تَبَالة أرض أسود شعر عبدالرحمن الأزدي الذي نظم شعراً في خروج الأزد من اليمن وتفرقهم، إلى أن قال:

فسيروا نحو قومكم جميعاً
ولا تَنْأوا سواهم في الأعادي
فإنكم خيار الناس قدماً
وأجلدهم رجالاً بْعد عادِ
وأكثرهم شباباً في كهول
كأسدْ تَبَالة الشُّهبِ الورود(١٢٩)

واشتهرت تَبَالة بأشجار السدر، والأثل، والعرعر، والأراك، قال القتال الكلابي:

وما مُغْزلٌ ترعى ، بأرض تَبَالة
أراكاً وسدراً ناعماً ما ينالُها
وترعى بها البردين ثم مقيلها
غَياطل ، مُلتجٌ عليها ظلالُها(١٣٠)

وقال أوس بن حجر:

بَكيتم على الصُّلح الدُّماج ولم يكن

بذي الرمّث من وادي تَبَالة مقنبُ(١٣١)

والرمث هو شجر الحمض، وقيل هو الكلأ الذي تعيش فيه الإبل والغنم، ويقول البكري "(ذو الرمث) هو وادي تَبَالة؛ لأنه كثير الرمث"(١٣٢) واشتهر وادي تَبَالة بخصوبة الأرض وكرم سكانه حتى صار كبار الشعراء يقولون فيه شعراً، فقال لبيد بن ربيعة العامري:

فالضَّيفُ والجارُ الجنيبُ كأنما

هبَطَا تَبَالة مُخصباً أَهضامُها(١٣٣)

يقول شارح الديوان معلقاً على هذا البيت: "تَبَالة قرية قريبة من الطائف ، فإذا نزل بأهلها الضيف والجار الغريب صادف عندهم ما يصادف من الخصب و الفواكه والرطب"(١٣٤).

وهذا عباس بن كثير يدعو الله أن ينزل الغيث ليسقي صفرات تَبَالة؛ لأنها كانت منازل قومه فقال:

سقى الصفرات العفر حول تَبَالة

إلى رحب بالوشم غير مطبق

منازل من حي ذويب بن مازن

وغيظ وكعب أن يتفرقوا(١٣٥)

كما دعا لها الشاعر الحزازة العامري في قصيدة الاستسقاء التي قالها في سنة الحطمة مع غيره من الشعراء في مكة، فقال:

رويَتْ قيعتا تَبَالة غيثاً

فذواتُ الآصاد فالعبلاء

فقريحاؤها قد سال

فوادي كلاخها فالكراء[١٣٦]

ولوقوع تَبَالة على طريق الحاج فقد ذكرها أحمد بن عيسى الرداعي في قصيدته التي عرفت بـ (أرجوزة الحج) فقال :-

تجر من ثوب الصبا أذيالها

الجد حتى تروي تَبَالة[١٣٧]

وقال في بيتين آخرين:

يشرعن في ذي جدول فضفاض

البردان مترع الحياض

حلُّوا رؤوسُ العيسي للرياض

يغسفن منها رمَضَ الرَّضراضَ[١٣٨]

والبردان والرياض موضعان في تَبَالة يقول الهمداني "البردان قليب بتبالة طيب الماء عذب ... ورياض الخيل موضع يسمى بذلك"[١٣٩].

وهذان الموضعان معروفان في وادي تَبَالة حتى اليوم، فالبردان اسم لقرية، والرياض تعرف الآن برياض أو شعبة الخيل[١٤٠].

سادساً : الخاتمة ونتائج وتوصيات البحث:

وخلاصة القول: إن تَبَالة المعروفة اليوم في أجزاء من بلاد بلقرن والتي واديها يسيح إلى الشمال الشرقي حتى يصب في وادي بيشة كان لها ذكر واسع في كتب التراث الإسلامي، بل كانت من المحطات التجارية المهمة على الطريق الحجازي اليمني، ومأهولة بالعشائر القبلية التي تنتمي إلى قبيلة خثعم وغيرها من القبائل القحطانية والعدنانية الأخرى. وقادتنا دراسة هذا الموضوع إلى الخروج بالكثير من النتائج والتوصيات التي نوردها في النقاط التالية:

١ - من المؤكد قدم ذكر تَبَالة، فتاريخها يعود إلى العهود السابقة لعصر الإسلام، وأكبر دليل على ذلك ذكرها عند الكثير من شعراء التاريخ القديم، الذين ذكروها في أشعارهم ووصفوا موقعها، ووفرة الخيرات في أرضها، وهناك من أعاد بداية تاريخها إلى عصر العماليق، أو عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٢ - استيطان الكثير من البطون والعشائر لأرض تَبَالة، وهذا ما يؤكده بعض المؤرخين والجغرافيين، ولكن ربما كانت قبيلة خثعم أكبر القبائل نفوذاً وهيمنة على بلاد تَبَالة. وازدادت شهرة تَبَالة في الجاهلية وصدر الإسلام لاحتضانها صنم ذي الخلصة الذي كان يسمى بـ (الكعبة اليمانية) وتحج إليه بعض القبائل العربية من نجران حتى زهران.

٣ - اشتهار تَبَالة كناحية أو مخلاف تابع لمكة، وأكدت الكثير من المصادر الإسلامية المبكرة أن هذا المخلاف يأتي في مستوى المخاليف الأخرى المجاورة في بلاد تهامة والسراة مثل: الطائف، وجُرش، ونجران، وعَثّر، وعَشَم، وضنكان وغيرها.

٤ - لم يكن سكان تَبَالة من الوثنيين فقط، وإنما كان يعيش إلى جانبهم بعض أهل الكتاب من النصارى واليهود ، وكاتبهم الرسول (ﷺ) «وجعل على كل محتلم ممن بها من أهل الكتاب ديناراً». ولم يكن تواجد أهل الكتاب فقط في تَبَالة و إنما كانوا أيضاً يتواجدون في نواحٍ كثيرة من بلاد السراة مثل:- جرش، ونجران، وصعدة وغيرها.

٥ - استقر الإسلام في أرض تَبَالة ، وهدمت أصنامها وفي طليعتها ذو الخلصة في عهد الرسول (ﷺ)، وأصبحت تابعة لولاة مكة المكرمة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى عصر بني العباس. لكن كتب التراث الإسلامي لم تفصح كثيراً عن الأوضاع الإدارية والسياسية في هذه الناحية منذ نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، وهذا الغموض لم يكن مقتصراً على بلاد تَبَالة فحسب ،إنما كان سائداً على أجزاء كثيرة في الجزيرة العربية، خاصة البعيدة عن الحواضر الرئيسة كمكة و المدينة وصنعاء، وهذه من الصعوبات التي تواجه المؤرخ الذي يريد البحث عن تاريخ وحضارة بعض النواحي المغمورة مثل: تَبَالة أو أي ناحية من النواحي التي تعاني فقراً معرفياً.

٦ - تعد كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل أفضل المصادر التي أشارت إلى ذكر تَبَالة في القرون الإسلامية الأولى وخاصة في الناحية الحضارية مثل: التجارة والزراعة، فالكثير من هذه الكتب ذكرت أهميتها من الناحية التجارية وارتيادها بالحجاج و التجار عندما يسافرون اليمن والحجاز، ولم يغفلوا أيضاً ذكر وفرة المياه والمزروعات والثمار بهذه الأرض، وهي فعلاً كذلك، فلا زالت تحتضن الكثير من الغابات الكثيفة والمزروعات وجداول المياه المختلفة.

٧ - الناظر إلى التركيبة السكانية في بلاد تَبَالة اليوم يجدها إلى حدٍ ما لازالت مأهولة بالسكان والبطون والعشائر التي كانت تستوطنها في القرون الإسلامية الأولى، وخاصة البطون التي تنتمي في نسبها إلى قبيلة خثعم الأم، ولا زالت تجاورهم بعض العشائر القديمة مثل غامد وزهران من الشمال وعشائر الحجر من الجنوب، وبعض بطون هوازن وعامر بن صعصعة من الشرق أو الشمال الشرقي.

٨ - بلاد تَبَالة ما زالت بحاجة ماسة إلى دراسات علمية جادة وخاصة في مجال التنقيب والآثار. ومن يشاهد هذه البلاد اليوم يلاحظ الكثير من النقوش والرسوم الصخرية التي تحتاج إلى دراسة خبراء يستطيعون فك رموزها. كما لا تزال هناك مواطن كثيرة تدل على وجود آثار مدفونة. وإنني أناشد الإخوة الآثاريين ومراكز الآثار في بلادنا أن تولي هذا الجانب قدراً من الأهمية؛ لعلنا نطلع على مواد أثرية تدعم الباحثين والدارسين في دراساتهم. ومن أهم المواقع التي نود معرفة المزيد عنها مكان صنم ذي الخلصة الذي أفاضت كتب السنة والتراث الإسلامي الأخرى في الإشارة إليه، وكيف كانت يرتاده الكثير من البطون والعشائر القاطنة من نجران وصعدة حتى بلاد غامد. وإن كنا لازلنا نرى مواقع أثرية قديمة في أجزاء من بلاد تَبَالة، والبعض من سكان المنطقة يذكرون أنها مواقع عبادات، لكن مثل هذه الأقوال لا يسندها دليل قوي، ثم إن الظاهر على مثل تلك الآثار عدم قدمها فربما لا تزيد أعمارها على القرنين أو الثلاثة، مع أنه كان في هذه النواحي أحداث كثيرة تعود إلى عصر ما قبل الإسلام.

٩ - هناك مواقع كثيرة في بلاد السراة غير تَبَالة ما زالت بحاجة إلى تضافر جهود الباحثين، ودراستها تاريخياً وفكرياً وأثرياً وأخص من هذه المواقع تربة، ورنية، وبيشة، والجهوة في محافظة النماص، وجرش، ونجران، فكل هذه النواحي كانت أقاليم أو مخاليف في القرون الإسلامية الأولى وما زالت تفتقر إلى دراسات أكاديمية جادة. وإن خرجت بعض الدراسات الصغيرة والمحدودة فهذا لا يكفي لرسم صورة واضحة عن هذه النواحي التي كانت ذا شهرة تاريخية واسعة.

١٠ - إنني أشكر جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي، هذه الجمعية الفتية التي استطاعت في خلال ثمانية أعوام، وهي مدة قصيرة في عمر الدراسات الإنسانية، أن تنجز الكثير من البحوث والدراسات العلمية الجادة عن نواحٍ و مناطق كثيرة من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. ونشكر المؤسسين لهذه الجمعية، وأيضاً الإخوة الذين ما زالوا يحرصون على عملها وأدائها المميز، ونحن كأعضاء في هذه الجمعية نبارك جهود كل من عمل على تقدم ونجاح أعمال هذه المؤسسة العلمية، والله أسأل التوفيق والسداد للجميع، والله من وراء القصد والسلام.

الإحالات والمصادر والمراجع

(*) أستاذ التاريخ بجامعة الملك خالد.

(*) دراسة مقدمة في اللقاء العلمي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، والمنعقد في مدينة المنامة بدولة البحرين في الفترة من (٧ - ١٠/٤/١٤٢٨هـ الموافق ٢٧ - ٢٤/٤/٢٠٠٧م).

(١) للمزيد عن بلاد السراة انظر: الحسن بن أحمد الهمداني. **صفة جزيرة العرب**؛ تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.- ص ٥٨-٥٩-٩٨-١٠٠. حمد الجاسر. في سراة غامد وزهران.- الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٣٥٣-٣٦٦، صالح أحمد العلي. "تحديد الحجاز عند المتقدمين" **مجلة العرب** (١٣٨٨هـ)، ج١، ص ١-٩. غيثان بن علي بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"، **مجلة الدارة**، العدد (٣) السنة (١٩) (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ٧٦- ١١١.

(٢) فؤاد حمزة. في **بلاد عسير**.- القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي، (١٩٥١م، ص ٥٧. هادي صالح ناصر العمري. **طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وأثار اليمن الاقتصادية عليه**.- صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٧٦.

(٣) تبالة: وردت كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين، وضمن المحطات التجارية على طريق البخور الذي يجتاز بعض نواحي اليمن عبر بلاد السراة حتى الحجاز وبلاد الشام. للمزيد انظر: الهمداني. صفة ، ص ٣٣ ، ٦٢ ، ١٦٧. العمري. طريق البخور، ص ٧٦ - ٧٧. علي الدين محيى الدين. "عبادة الأرواح (القوى الخفيفة) في المجتمع العربي الجاهلي" دراسات **تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الثاني. الجزيرة العربية قبل الإسلام**.- (الرياض: جامعة الرياض (الملك سعود حالياً، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م)، ص ١٦٢.

(٤) الهمداني. **صفة**، ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٣٤٠ . محمد بن جرمان العواجي الأكلبي. **تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر**.- الطائف: دار الحارثي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٩٣ - ٩٦.

(٥) تبالة اليوم: اسم يطلق بصفة خاصة على مركز إداري بقرية المبرز ببلاد الفزع في أرض قبائل بلقرن وشمران، وتقع إلى الشمال الغربي من محافظة بيشة على بعد (٤٥) كيلاً، على وادي تبالة الذي ينحدر من سروات بلقرن وخثعم وشمران حتى يصب في وادي بيشة. ويحيط بتبالة بعض الجبال الشاهقة مثل: جبال زبران، وبشران، وسوداء رناح، وفي الوسط هضبة تبالة المشهورة. ويخدم هذا المركز الكثير من العشائر مثل: البطين وبني

خناس، وبني عامر، والمصحين، والكليات، وبني سهيم وهم جزء من قبيلة بني واس، وبعض قبائل الحلفات، ثم بعض من قبائل المزايدة والحصنة من أكلب، وأغلب القبائل من الفزع من بني خثعم. للمزيد انظر: علي إبراهيم الحربي. **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير**.- أبها: ن. ن، ١٤١٧ هـ/ جـ٢، ص٢٨٧. محمد بن جرمان العواجي. **بيشة**.- الطائف: دار الحارثي للطباعه والنشر ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٥٧، عبدالرحمن صادق الشريف. **جغرافية المملكة العربية السعودية، إقليم جنوب غرب المملكة**.- الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، جـ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣. وللمزيد عن بلاد تبالة في الجاهلية والقرون الإسلامية الأولى، انظر: ما ذكرناه في صفحات هذه الدراسة، وانظر أيضاً بعض المصادر التي تم الرجوع إليها في هذه الدراسة.

(٦) جمال الدين بن منظور. **لسان العرب**. نسقه وعلق عليه علي شيرى.- بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج٢، ص١٧. فعل (تبل).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه. انظر: عبدالله عبدالعزيز البكري. **معجم ما استعجم**؛ تحقيق مصطفى السقا.- بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، مج١ ، ج١ ، ص ٣٠١.

(١٠) المصدر نفسه، انظر: شهاب الدين ياقوت. **معجم البلدان**.- بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، حـ٢ ، ص ٩.

(١١) عبدالكريم بن محمد السمعاني. **الأنساب** (بيروت: دار الحنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص ٤٤٥، وأغلب القبائل من الفزع من بني خثعم. للمزيد انظر: الحربي، جـ١، ص ٢٨٧. العواجي. بيشة، ٥٧، الشريف، ج٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(١٢) ياقوت، ج٢ ، ص ١٠ .

(١٣) البكري، **معجم**، مج١، ج١ ، ص ٣٠١ ، ياقوت، حـ٢ ، ص ١٠ .

(١٤) المصدران نفساهما.

(١٥) عبدالرحمن بن خلدون. **تاريخ اليمن المنقول من العبر، منشور ضمن كتاب :- تاريخ اليمن لعمارة اليمني** . تحقيق حسن سليمان محمود.- صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ١٩٠ .

(١٦) للمزيد عن تاريخ وموقع مخلاف جرش في منطقة عسير، انظر: غيثان بن علي بن جريس. "تاريخ مخلاف جريس (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى" **مجلة العصور**، مج (٩)، ج (١) (رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م)، ص ٦٣-٧٨. للمؤلف نفسه. **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** (ق١-ق١٠هـ/ق٧- ١٦م).- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، ص ٩٣ - ١٢٦.

(١٧) عرام بن الأصبغ السلمي. **كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه**.- القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص ٤٢٠.

(١٨) مشاهدات الباحث في أثناء جولاته في بلاد السراة ما بين الطائف والعلاية في بلاد بلقرن خلال النصف الثاني من شهر صفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

(١٩) للمزيد انظر: الشريف، ج٢، ص ٣٧٥ وما بعدها. السيد عيسى بن علوي آل عيسى. **الطائف القديم، داخل السور في القرن الرابع عشر الهجري**.- الطائف: لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ، ص ٣١ .

(٢٠) الشريف، ج٢، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٢١) عرام. كتاب أسماء جبال تهامة، ص ٤٢٠.

(٢٢) الهمداني. **صفة**، ص ٢٥٣، ٢٥٨. البكري، **معجم** ، مج١، ج١، ص ٣٠١. محمد بن محمد ابن عبدالله الإدريسي. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**.- بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج١ ، ص ١٥٠ ، ١٥١.

(٢٣) عرام، ص ٤٢١.

(٢٤) شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**؛ تحقيق دي غوي.- ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٩م، ص ٧٠.

(٢٥) قدامة بن جعفر الكاتب. **نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة**؛ تحقيق دي غوي.- ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص١٨٨-١٨٩.

(٢٦) عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة. **المسالك والممالك**؛ تحقيق دي غوي (ليدن مطبعة بيرل، ١٨٨٩م)، ص ١٣٣.

(٢٧) ياقوت، ج٢، ص ٩-١٠.

(٢٨) مقابلة الباحث لعدد من المسنين في بلاد بلقرن وخثعم وشمران خلال شهر صفر عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، وأكدوا أن المسافة التي يستغرقها المسافر قديماً مشياً على الأقدام من بلادهم حتى مكة تتراوح ما بين (٨-١٠) أيام تقريباً، وقد تزيد إذا كان المسافر يصطحب معه بعض المواشي أو الأغراض الثقيلة، أو بعض العجزة أو المرضى الذين يحتاجون إلى مساعدة في أثناء السفر.

(٢٩) مشاهدات الباحث في أثناء رحلاته في بلاد تبالة وما جاورها من بلاد خثعم خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

(٣٠) الهمداني. **صفة**، ص ٤٣١ .

(٣١) خثعم: قبيلة عريقة النسب تسكن في سراة الحجاز، يمر الطريق المؤدي إلى أبها والطائف ببلادها. وهي تنتسب إلى خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، وقد تفرع من

قبيلة خثعم فروع كثيرة، وغلب اسم شهران العريضة على أغلب بلاد خثعم قديماً. للمزيد انظر: البكري. **معجم**، مج١، ج١، ص ٥٨، الأكلبي. **تاريخ بني خثعم**، ص ١٩ وما بعدها.

(٣٢) الهمداني. **صفة**، ص ٢٥٨.

(٣٣) البكري. **معجم** ، مج١ ، ج١ ، ص ٩٠ .

(٣٤) المصدر نفسه ، مج١ ، ج١ ، ص ٣٠١ .

(٣٥) أحمد اليعقوبي. **كتاب البلدان**؛ تحقيق دي غوي.- ليدن: مطبعة بريل ١٨٩١م (ملحق بكتاب: **الأعلاق النفيسة**، لابن رستة)، ص ٣٢٠ .

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٣١٦.

(٣٧) عرام ، ص ٤٢١.

(٣٨) للمزيد عن وادي تبالة والعشائر التي تستوطنه اليوم انظر: الشريف، ج٢، ص٤٤٢. الحربي. ج١، ص٢٨٧، العواجي. **بيشة**، ٥٧. محمد بن جرمان العواجي الأكلبي. **الآثار في محافظة بيشة**.- الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٩٥-١٠٤. مزهر محمد القرني. "قبيلة بلقرن وبلادها" **مجلة العرب**، رجب (١٣٩٩هـ) مج (١٤)، ص٢٣٨-٢٤٠.

(٣٩) المراجع نفسها، بالإضافة إلى رحلات الباحث في وادي تبالة خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

(٤٠) صنم ذو الخلصة من الأصنام المشهورة قبل الإسلام ، وأشارت إليه الكثير من المصادر الإسلامية الأولى، وهناك من يؤكد على وجوده في بلدة تبالة، وآخرون يذكرون موقعه في بلاد السراة، ويعرف عندهم بـ(الكعبة اليمانية). للمزيد انظر: محمد بن عبدالله الأزرقي. **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**؛ تحقيق رشدي ملحس.- مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص١٢٤. ومن تعليقات المحقق انظر الكتاب نفسه، حـ١، ص٣٧٥ وما بعدها. حمد الجاسر، ص ٣٣٦-٣٥٠. ويقال لذي الخلصه (الكعبة اليمانية) تفرقة له عن الكعبة التي بمكة، ويطلقون على كعبة مكة المكرمة اسم (الكعبة الشامية).

(٤١) للمزيد انظر: الهمداني. **صفة**، ص٣٤٠ ، اليعقوبي، ٣١٩، ص قدامة، ص ١٨٨.

(٤٢) لمزيد من التفصيلات عن صنم ذي الخلصه انظر: محمد بن حبيب. **المحبر**.- بيروت: المكتبة التجارية للطباعة، ١٣٦٠هـ، ص ٣٩، ص ٣١٧ ، ياقوت، ج٢ ، ص ٣٨٣-٣٨٤، تعليقات رشدي ملحس عن هذا الصنم في نهاية الجزء الأول من كتاب: **أخبار مكة للأزرقي**، ص ٣٧٦ وما بعدها، الجاسر، ص ٣٣٦ وما بعدها.

(٤٣) المصادر والمراجع نفسها.

(٤٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٤٥) المصادر والمراجع نفسها .

(٤٦) تعليقات رشدي ملحس. **كتاب الازرقي** ، ج١ ، ص ٣٧٦ - ٣٨٨ .

(٤٧) زار الجاسر بلاد غامد وزهران وخاصة بلاد ثروق التي يذكر أن صنم ذي الخلصة كان بها، في يوم الأربعاء (١٣٩٠/٢/٢٣هـ الموافق ١٩٧٠/٤/٢٩م). انظر: الجاسر، ص ٣٣٦.

(٤٨) بلاد ثروق في بلاد زهران، ويطلق عليها أيضاً اسم (فرعة دوس) وتبعد عن بلدة المندق جهة الشمال حوالي (١٤) ميلاً. انظر: الجاسر، ص ٥٦ - ٥٨ .

(٤٩) المرجع نفسه، ص ٣٣٦ - ٣٥٠ .

(٥٠) المرجع نفسه، وللمزيد انظر: الأكلبي. **تاريخ بني خثعم**، ص٩٣ - ٩٦. مزهر القرني، ص٢٣٨ وما بعدها.

(٥١) انظر: محيى الدين النووي. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**؛ تحقيق مأمون شيحا .- بيروت: دار المعرفة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ج٢، ٢٤٠.

(٥٢) عماد الدين إسماعيل بن كثير. **البداية والنهاية**؛ تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي. - القاهرة: دار هجر، د . ت، ج٤ ، ص ٣٧٥ .

(٥٣) ياقوت، ج٢، ص٣٨٣.

(٥٤) ابن حبيب، ص٣١٧ .

(٥٥) ياقوت، ج٢، ص٣٨٣ .

(٥٦) البكري. **معجم**، مج١، ج٢، ص ٥٠٨ .

(٥٧) مشاهدات الباحث في بلاد بلقرن وشمران وخثعم خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

(٥٨) للمزيد عن جهاد الطفيل للمشركين في بلاد غامد وزهران، انظر: عبدالملك بن هشام. **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وآخرين.- بيروت: دار القلم، د. ت، ج٢، ص ٢١ وما بعدها، جمال الدين بن الجوزي. **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري ومحمد قلعجي (حلب: دار الواعى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ج١، ص٦٠٠ - ٦٠٤. عز الدين على بن الأثير. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**.- بيروت: دار أحياء التراث العربي، د. ت، ج٣، ص ٥٤ - ٥٥.

(٥٩) المصادر نفسها. للمزيد انظر: محمد بن سعد. **الطبقات الكبرى**.- بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص١٥٧. محمد عمر الواقدي. **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس.- بيروت: عالم الكتب، د. ت، ج٢، ص ٦٨٣. ج٣، ص ٩٢٣، محمد بن إسماعيل البخاري. **صحيح البخاري**.- بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت ، مج٣، ج٥، ص١٢٣.

(٦٠) للمزيد من المعلومات عن صنمي ذي الكفين وذي الشرى في بلاد غامد وزهران، انظر: الجاسر، ص٣٣٣ ، ٣٣٤. ابن جريس. **دراسات في تاريخ تهامة والسراة**، ج١، ص٣٢، ٤٩.

(٦١) انظر: تعليقات رشدي ملحس عن ذي الخلصة في كتاب الأزرقي ، ج١ ، ص ٣٧٦ وما بعدها. الجاسر، ص ٣٣٦ وما بعدها.

(٦٢) لمزيد من التفصيلات عن جرش، انظر: ابن جريس. " تاريخ مخلاف جرش... "، ص ٦٣ وما بعدها.

(٦٣) أحمد بن يحيى البلاذري. **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٣.

(٦٤) المصدر نفسه. خميس صالح الغامدي. **العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول** (ﷺ). رسالة ماجستير بجامعة أم القرى - قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية.- مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٨ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس. **نجران دراسة تاريخية حضارية (ق١-ق٤هـ/ ق٧ - ق١٠م)**، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج١، ص ٤٨، ص ٧٤، المؤلف نفسه. "تاريخ مخلاف جرش..."، ص ٦٤ وما بعدها.

(٦٥) المصدر والمراجع نفسها.

(٦٦) المصدر والمراجع نفسها.

(٦٧) للمزيد عن صرد بن عبدالله الأزدي وعن بلاد جرش، انظر: ابن جريس. "تاريخ مخلاف جرش..."، ص ٦٣ وما بعدها.

(٦٨) المتتبع لانتشار الإسلام في عهد الرسول (ﷺ)، يدرك مدى حرصه (عليه الصلاة والسلام) إلى إرسال دعاته إلى نواحي الجزيرة العربية كي يبلغوا الرسالة بشكل صحيح، ويفقهوا الناس في كل ما يجهلون من أمور دينهم. ودنياهم. للمزيد انظر: محمد حميد الله. **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**.- بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٥٧ وما بعدها.

(٦٩) كانت الطريق الرئيسة التي تخرج من الطائف إلى جرش ونجران وصنعاء تمر ببلدة تبالة، بل كانت من المحطات الرئيسة على هذا الطريق. للمزيد انظر: الهمداني، **صفة**، ٣٤٠، ابن جريس، **دراسات**، ج١، ص ٣٤٧ وما بعدها.

(٧٠) للمزيد عن ترجمة قطبة بن عامر، انظر، ابن سعد، ج٣، ص ٥٧٨، ٥٧٩.

(٧١) ذكر الواقدي وابن سعد إرسال السرية مع اختلاف في بعض الألفاظ. أما الحقائق فهي متقاربة جداً، للمزيد انظر: الواقدي، ج٢، ص ٧٥٤، ٧٥٥، جـ٣، ص٩٨٠. ابن سعد، ج٢، ص ١٦٢.

(٧٢) ابن سعد، ج٢، ص ١٦٢. ج٣، ص ٥٧٩.

(٧٣) للمزيد عن ترجمة جرير بن عبدالله البجلي، انظر: كتاب: **الإمامة والسياسة** المنسوب إلى عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق طه زيني.- (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م)، ج١، ص ٨٢. ابن جريس. **دراسات**، ج١، ص ١٥٧.

(٧٤) ابن الجوزي، ج١، ص٧٤١. وللمزيد انظر: ابن هشام، ج١، ٨٨، البخاري، مج٣، ج٥، ص١١١-١١٢. مج٤، ج٨، ١٠٠، تعليقات رشدي ملحس، **بنهاية كتاب الأزرقي**، ج١، ص٣٧٤.

(٧٥) ابن سعد، ج١ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٧٦) المصدر نفسه ، وللمزيد انظر: البخاري ، مج٣ ، ج٥ ، ص ١١١ - ١١٢.

(٧٧) ابن سعد، ج١ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٧٨) للمزيد عن حركة الردة في الجزيرة العربية وخاصة جنوبها، انظر: محمد بن جرير الطبري. **تاريخ الأمم والملوك**؛ تحقيق أبو الفضل إبراهيم.- بيروت: دار سويدان، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ج٣ ، ص ٢٢٣ وما بعدها. ابن جريس. **دراسات**، ج١ ، ص ٣٧.

(٧٩) لمزيد من الإيضاح عن قبيلة بجيلة التي كانت تجاورها قبيلة خثعم في أرض السراة، انظر أحمد بن علي القلقشندي. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**؛ تحقيق محمد عبدالرسول.- القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، ج١، ص ٣٢٩. عمر رضا كحالة. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**.- بيروت: موسسة الرساله ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج١، ص ٦٣ - ٦٥.

(٨٠) محمد بن فهد. **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**؛ تحقيق فهيم شلتوت.- مكة المكرمة: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص ٥٦٧.

(٨١) للمزيد عن بلاد السراة خلال القرون الإسلامية الأولى، انظر: الهمداني. **صفة**، ص ٢٥٥ وما بعدها، العلي، ص ١ - ٩. ابن جريس. "**بلاد السراة...**" ، ص ٧٦ وما بعدها.

(٨٢) ابن جريس. **دراسات**، ج١، ص ٩٣ وما بعدها، للمؤلف نفسه، **نجران**، ج١، ص٦٠، ١١٨.

(٨٣) ابن خرداذبة، ص ١٣٣، الإدريسي، ج١، ص١٥٠، ص١٥١، قدامة، ص١٨٩.

(٨٤) ياقوت، ج٢، ص ٩.

(٨٥) انظر: الأدريسي، ج١ ، ص ١٥١.

(٨٦) لمزيد من التفصيلات عن الشاعر عبدالله بن عبيدالله السلولي الخثعمي، المعروف بـ(ابن الدمينة) ومقتله في بلدة تبالة، انظر: أبو الفرج الأصفهاني. **كتاب الأغاني** بتحقيق علي محمد البجاوي.- بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، د. ت، ج١٧، ص٩٣ - ١٠٥.

(٨٧) المصدر نفسه، حـ١٧ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٨٨) في العهد الأموي وعصر بني العباس الأوائل كان ولاة الحجاز، وخاصة مكة المكرمة يتولون الإشراف على الطائف وبلاد السراة حتى اليمن، وأحياناً تجمع لهم ولاية الحجاز واليمامة واليمن، وهم بدورهم يرسلون من قبلهم من يتولى أمور النواحي الصغيرة في هذه الأقاليم. للمزيد انظر: الطبري، ج٦، ص ٢٠٢، ٤٢٦، ٤٤٧، ٤٦٤، ٤٨١، ٦٢٠. حـ٧، ص ١٤ ، ٢٠ ، ٩١ ، ٢٢٦. تقي الدين محمد الفاسي. **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**؛ تحقيق لجنة من العلماء.- بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، ج٢، ص ١٦٦، ١٦٧، ١٧٤، غيثان بن علي بن جريس. "بلاد السراة في العصر الأموي: دراسة لبعض مظاهر الحضارة" **دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية في العصر الأموي**.- الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٤٩ - ١٦٤.

(٨٩) عبدالله بن مسلم بن قتيبة. عيون الأخبار.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مج ١، ج١، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٩٠) الفاحص للوثائق الخاصة بقبائل السراة أو عموم قبائل الجزيرة العربية خلال القرون الماضية المتأخرة، والسامع لروايات الأوائل يدرك أن الأمن بين سكان هذه القبائل كان معدوماً، وكانت الفوضى والحروب هي السائدة بينهم. وبعد مجيئ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود سعى إلى تأسيس المؤسسات الإدارية الحكومية التي تعمل على ضبط الأمن في البلاد ومحاربة النعرات القبلية، وقد نجح في ذلك واستطاع أن يوحد البلاد ويقضي عل جميع الصراعات والفتن التي كانت منتشرة بين جميع البطون والعشائر.

(٩١) نجدة بن عامر الحنفي من الخوارج (٣٦ - ٦٩ هـ / ٦٥٦ - ٦٨٨ م). ثار ضد بني أمية، ومد نفوذه على نجد والبحرين وبلاد السراة واليمن، ثم اندحر وهزم أمام جيوش بني أمية. محمد بن يحيى الصنعاني بن زبارة . **مختصر أنباء اليمن ونبلائه في الإسلام** ضمن مجاميع لكتاب بعنوان: **الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ**.- صنعاء: مكتبة اليمن الكبرى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٤٠ وما بعدها. الجاسر، ص ٣٠٦. خير الدين الزركلي.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ج٢ ، ص ١٠ .

(٩٢) للمزيد عن ثورة عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) في وجه الأمويين، انظر: الطبري، ج٦، ص ١١٧، ١٧٤، ١٨٧. الفاسي. **شفاء**، ج٢، ص ١٦٨. أحمد السباعي. **تاريخ مكة**.- مكة: دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٩٣ - ١٠٦.

(٩٣) ابن زبارة ، ص ٤١ وما بعدها.

(٩٤) كان نجدة الخارجي مع نافع بن الأزرق الخارجي ، ثم فارقه واستقل بثورته في اليمامة ثلاث سنوات (٦٦ - ٦٩هـ/ ٦٨٥ - ٦٨٨ م). الجاسر، ص ٣٠٦. الزركلي، ج٢، ص١٠.

(٩٥) الجاسر، ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٩٦) للمزيد عن أبي حمزة ، وطالب الحق وما قاما به من خراب ودمار في أثناء ثورتهما على بني أمية ، انظر: الطبري ، ج٧ ، ص ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٣٩٣ - ٤١١. الفاسي. **شفاء**، ج٢، ص١٧٥ - ١٧٦. الجاسر، ص ٣٠٨ - ٣١٥ . السباعي، ص ١٠٩ .

(٩٧) كتنة: قرية قديمة ذكرها الرداعي في أرجوزته ، فقال:

سيري إلى كتنه سير الجدِّ   قصداً وليس الجور مثل القصد

وهي على جانب وادي الخليج الذي يلتقي مع وادي تبشع، ويرفدان وادي يعرى، وهي لعشيرة ناهس من قبيلة شهران. انظر: الهمداني. **صفة**، ص٤٢٤. الحربي، ج٣، ص٣٨٨.

(٩٨) الطبري، ج٧، ص ٣٧٤، ٣٩٣ وما بعدها. الجاسر، ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٩٩) الفاسي. **شفاء**، ج٢، ص ١٧٦ وما بعدها. غيثان بن علي بن جريس. "الإمارة في الحجاز

خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ/ ٧٤٩ - ٨٤٦م): **دراسة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور**. مج (٧) ج١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، ص ١٣-٢١.

(١٠٠) ابن جريس. **نجران**، ج١، ص ٣٤٠ وما بعدها، للمؤلف نفسه "الإمارة في الحجاز.."، ص١٣ وما بعدها.

(١٠١) هؤلاء الجغرافيون والمؤرخون ذكروا في نصوص متفاوتة هيمنة شيوخ القبائل على عشائرهم في بلاد السراة، وتبالة ناحية من نواحي السراة التي يسودها ما ساد غيرها من البلاد. الهمداني. **صفة**، ص٢٦١. أبو معين الدين ناصر خسرو. **سفرنامة (رحلة ناصر خسرو)**؛ ترجمه من الفارسية أحمد خالد البدلي.- الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ١٩٨٣م، ص١٤٢. جمال الدين يوسف بن المجاور. **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر**؛ تصحيح أوسكر لوفغرين.- ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م، ج١، ص٢٦ ، ٢٧. ابن خلدون، ص١٩٠ .

(١٠٢) ابن المجاور، ج١، ص ٣٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٦ .

(١٠٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧ .

(١٠٥) الزيديون نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبى طالب. نشأت الدولة الزيدية في صعده على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عام (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، واستمرت هذه الدولة تحكم اليمن الأعلى إلى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي. للمزيد انظر: عبدالواسع الواسعي. **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن**.- صنعاء. الدار اليمنية للنشر، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٦٦ - ١٦٨ .

(١٠٦) للاطلاع على سيرة الإمام العياني منذ ولادته حتى وفاته، انظر: الفقيه القاضي الحسين أحمد بن يعقوب. **سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني**؛ تحقيق عبدالله محمد الحبشي.- صنعاء: دار الحكمة اليمنية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١١ وما بعدها.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص١١ - ١٢ ، ص ١٩ وما بعدها.

(١٠٨) المصدر نفسه، للمزيد انظر: مفرح بن أحمد الربعي. **سيرة الأميرين الجليلين الشريفين، نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري**؛ تحقيق رضوان السيد، وعبدالغني عبدالعاطي.- بيروت: المنتخب العربي للدراسات والنشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٧ وما بعدها. ابن يعقوب، ص ٢٨ وما بعدها، الواسعي، ص ١٧٩ وما بعدها.

(١٠٩) الدولة الصليحية: نسبة إلى مؤسسها علي بن محمد الصليحي عام (٤٣٩هـ/ ١٠٤٥م) الذي استولى على أجزاء كبيرة من بلاد اليمن، واستمرت هذه الدولة في أولاده

وأحفاده عشرات السنين (٤٣٩ - ٥٣٢ هـ/ ١٠٤٧ - ١١٣٧م) انظر: الربعي، ص ٧٦ وما بعدها، الحسين فيض الله الهمداني. **الصليحيون والحركة الفاطمية**.- القاهرة: م. ن، ١٩٥٥م، ص ٣٥ وما بعدها.

(١١٠) للمزيد انظر: الربعي، ص١٢٠ - ١٤٠ .

(١١١) تمتاز بلاد السراة بارتفاع جبالها، وصعوبة مسالكها، وشراسة وشجاعة أهلها؛ ولهذا كانت على مر العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة في عزلة عن الدويلات السياسية التي ظهرت في اليمن، أو الإمارات المحلية في الحجاز، وإن اتصل ساسة هذه النواحي بأرض السراة فليس إلا لطلب نصرة أو حماية مما يداهمهم في أوطانهم . وأكبر مثال على ذلك الإمام العياني وأولاده وأحفاده الذين كانوا في صراعات دامية مع بعض القوى في اليمن، واذا انهزم بعضهم لاذوا بالفرار إلى أرض السروات، وخاصة مسقط رأس والدهم العياني في تبالة وبيشة وما جاورهما. للمزيد انظر: الربعي، ص١٢١ وما بعدها. ابن جريس. **دراسات**، ج١، ص٢٣ وما بعدها.

(١١٢) انظر: أبو حاتم عبدالرحمن الرازي. **آداب الشافعي ومناقبه**؛ تحقيق عبدالغني عبدالخالق.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ، ص١٢٩ وما بعدها، الربعي، ص١٣٥- ١٣٦. ابن المجاور ج٢ ، ص ٢٠٩. ابن جريس. **نجران**، ج١، ص٣٨٦ - ٣٩٢ .

(١١٣) الربعي، ص ١٢٨، ١٣٥ .

(١١٤) هناك الكثير من الأمثلة التي ذكرت صلات الأشراف في مكة ببلاد السراة. الربعي، ص١٢٤، ١٢٦. ابن فهد. **إتحاف**، ج٢، ص ٤٦٩، ٥٤٨، وللمزيد انظر: **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، لعز الدين بن فهد. السباعي. **تاريخ مكة**.

(١١٥) الهمداني. **صفة**، ص٤٣١.

(١١٦) المصدر نفسه ص٣٤٠، ٣٤٣، ٤٣٠. إبراهيم بن إسحاق الحربي. **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**؛ تحقيق حمد الجاسر.- الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ياقوت، ج٢، ص ٩. اليعقوبي، ص ٣١٦ ، ٣٢٠ .

(١١٧) قدامة، ص ١٨٨.

(١١٨) ابن خرداذبة، ص ١٣٣.

(١١٩) الإدريسي، ج١، ص ١٥٠.

(١٢٠) لمزيد من التفصيلات انظر: ابن جريس. **نجران**، ج١، ص٦٠ وما بعدها. للمؤلف نفسه. **دراسات**، ج١، ص٢٣ وما بعدها.

(١٢١) الإدريسي، ج١، ص ١٥١، ١٥٢ .

(١٢٢) الهمداني. **صفة**، ص٣٤٣. للمزيد انظر: جواد علي. **المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام**.- بغداد: جامعة بغداد، ١٤١٣/ ١٩٩٣م، ج٧، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣.

(١٢٣) محمد بن عبدالمنعم الحميري. **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس.- بيروت: مكتبة لبنان، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٢٩.

(١٢٤) أحمد بن علي القلقشندي. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**؛ تحقيق وزارة الثقافة والإرشاد بمصر.- القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج٥، ص٤٣.

(١٢٥) مشاهدات الباحث ورحلاتة في بلاد خثعم وشمران و بلقرن خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) .

(١٢٦) **ديوان امرئ القيس**؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- القاهرة: دار المعارف، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م، ص ٩٩. وقد ورد هذا البيت برواية أخرى:

هما نعجتان من نعاج تبالة   لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر

(١٢٧) الهمداني. **صفة** ، ص٢٦٩ .

(١٢٨) رحلات الباحث في وادي تبالة خلال شهري المحرم و صفر عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

(١٢٩) الهمداني. **صفة**، ص ٢٧٠ .

(١٣٠) ياقوت، ج٢، ص١٠.

(١٣١) **ديوان أوس بن حجر**؛ تحقيق محمد يوسف نجم. - بيروت: دار صادر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص٧.

(١٣٢) البكري. **معجم**، مج١، ج٢، ص ٦٧٣ .

(١٣٣) ياقوت. ج٢، ص ٩ .

(١٣٤) **شرح ديوان لبيد بن ربيعة**؛ تحقيق إحسان عباس.- الكويت: وزارة الإرشاد والإنباء ١٩٦٢م)، ١٧٨.

(١٣٥) أسامة بن منقد. **المنازل والديار** (م. ن : ن . ن . د. ت) ، ٤٥.

(١٣٦) الهمداني. **صفة**، ص ٣٧٩.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٠ .

(١٣٨) المصدر نفسه ، ص ٤٣١ .

(١٣٩) المصدر نفسه .

(١٤٠) العواجي. **بيشة** ، ص ٦٨ ، مشاهدات الباحث وانطباعاته في وادي تبالة خلال شهري المحرم وصفر عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .